الزجاج والحلي

يُعنى هـذا الفصل بعرض للزجـاج والحلي في الفنون القديمة والإسـلامية. فالـزجاج كان مـن المواد الـتي حرص الإنسان القديم على استخدامها في حياته اليومية منذ أقدم العصور، فعرف صناعته وزخرفـته بأسالـيب شتـى. وقد ثبت اسـتخـدام هذه المـادة طوال الـعصـور التاريخية، ولكن صناعـتها تطورت في العصر الإسلامي تطوراً كبيراً، إذ عرف الفنان عدة طرق لتشكيل منتجات منوعة من هـذه المادة وزاد علـيها بـاستخدام زخارف البريق المعدني التي لاقت انتشاراً كبيراً بعد استخدام مادة المينا.

وكذلك كان استخدام الحلي معروفاً منذ أقدم العصور بـحكم رغبة الإنسان في التزين والتجمل. وقد عثر في المواقع الأثرية المختـلفة في المملكة عـلى قطع زجاجية وأنواع من الحلي عرفها الإنسان فـي العـصريـن القـديم والإسلامـي.

ونعرض في هذا الفصل بإيجاز للزجاج والحلي من خلال ما عثر عليه في مواقع أثرية مختلفة من المملكة.

الزجاج في العصور القديمة

مرّت صناعة الزجاج واسـتخدامه بمراحل مختـلفة عبر العصور القـديمة والإسـلاميـة، وما عـثر عـليـه من المصنوعات الزجاجية في المواقع المختلفة بالمملكة يدلّ على أن بعضه صنع محلياً وبعضـه اجتلب مـن خارج الحدود. وتوقفنا المعثورات الزجاجية على نماذج قديمة وأخرى إسلامية نستطيع من خلال تتبـعها التعرف عـلى طرق صناعتـها وأسـاليـب زخـرفـتهـا ومـجـالات استخدامها.

استـخدم الزجـاج البـركاني فـي الجزيرة العربية فـي وقت مبكر يوازي الوقت الذي عُرف فيه في بـقية بلدان

العالم القديم. فهناك من الأدلة ما يفيد أنه قد استخدم خلال فترة العبيد في شرق المملكة في نهاية الألف السادس قبل الميلاد، وربما كان من مواد التجارة التي تصدر للأقطار التي لا تتوافر فيها هذه المادة، مثل بلاد الرافدين ووادي النيل. كما أنه وجد في مواقع مختلفة في شرق المملكة ووسطها بتاريخ يعود للألف الخامس قبل الميلاد. وتتوافر أدلة من جنوب الجزيرة العربية تفيد أن الزجاج استخدم خلال الألف الرابع قبل الميلاد، فقد وجدت مصادر طبيعية لمادته مما يؤكد أنه قد صُدّر من الجزيرة العربية إلى الأقطار المجاورة التي تفتقر لمصادر هذه المادة. واستمر استخدامه خلال العصور اللاحقة، إذ عُثر عليه في عدد من المواقع التي ترجع لفترات تاريخية مختلفة.

أما الزجاج المصنع من مواد خام فإن أقدم دليل متوافر على وجوده جاءنا من جنوب الجزيرة العربية، وقد استخدم خلال فترة تقع ما بين القرن الثامن والقرن الخامس قبل الميلاد. وعثر في مقابر تمنع وفي موقع حجر حميد على بقايا زجاجية ومخلفات صناعة تدل على ممارسة تصنيع الزجاج في الجزيرة العربية. وقد اكتشفت قنينة زجاجية كاملة يرجع تاريخها إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد. كما اكتشف خبث زجاج في وسط الجزيرة العربية وشرقها يدل على وجود مراكز صناعة زجاج محلية.

وتتنوع المشغولات الزجاجية التي اكتشفت في مواقع قديمة في الجزيرة العربية، بالرغم من أن ما اكتشف منها، قياساً بغيرها من المواد، يعد قليلاً. ويشتمل على قنينات زجاجية صغيرة ومتوسطة الحجم، بالإضافة إلى كمية من الأساور الزجاجية وكميات كبيرة من الخرز.

وأهم المواقع التي اكتشف فيها الزجاج في جنوب الجزيرة العربية هي حريضة، وحجر حميد، وتمنع، وقنا، وريبون، وعدد آخر من المواقع في المملكة. واكتشفت كميات من الزجاج في مواقع في شرق الجزيرة العربية لعل من أهمها مواقع في جزيرة فيلكة في الكويت، وقلعة البحرين في البحرين، وعدد من المواقع في الإمارات العربية المتحدة من أهمها المليحة، والدربحانية، والمقابر القديمة في منطقة هيلي.

أما الزجاج البركاني فقد عرف استخدامه في هذه المنطقة خلال العصر الحجري الحديث قبل ستة الآف سنة ق.م. إذ تفيد الأبحاث المنشورة أن هذه

المادة استخدمت في شرق المملكة ووسطها وجنوبها، وتوجد أدلة على استخدامها في هذه المناطق. وقد استمر استخدام هذه المادة حتى بعد معرفة تصنيع الزجاج، ويؤكد ذلك ما اكتشف في مواقع تعود للقرون اللاحقة.

وعلى الرغم من اكتشاف كميات كبيرة من المواد المصنوعة من الزجاج في مواقع متعددة في المملكة، فإنه لم تعرف بداية إنتاج الزجاج فيها. ولكن من المؤكد أنها سبقت ظهور الإسلام بقرون، وربما عرفت قبل ميلاد المسيح عليه السلام. وتفيد المادة المتوافرة أن إنتاج الزجاج غير الشفاف، والزجاج الشفاف عديم اللون قد عُرفا في المنطقة. ويظهر من المادة أيضاً أنه استخدم في تصنيعه عدة طُرق، منها طريقة القطع، والقالب، والنفخ الحر، وطُرق أخرى تلائم المواد الدقيقة، مثل الخرز والتعاويذ والأختام.

وقد عُثر على مشغولات زجاجية في عدد من المواقع الأثرية في المملكة مثل عين جاوان، وثاج، ومقابر جنوب الظهران في الإقليم الشرقي، وفي الإقليم الشمالي عثر عليه في دومة الجندل، وفي الإقليم الشمالي الغربي عثر عليه في تيماء، والعلا، وقُرَيَّة، وفي الإقليم الأوسط عثر عليه في الخضرمة، والموقع

بقايا إناء زجاجي أزرق اللون – قرية الفاو

رقم ٢٠٧/٢٦ في منطقة حزم عقيلة، والموقع رقم ٢١٢/٧٥ في منطقة خفس دغرة، وعدد من المواقع في الأفلاج، وعدد آخر في وادي الدواسر مثل قرية الفاو. كما عثر عليه في أخدود نجران في الإقليم الجنوبي الغربي.

وتشمل المصنوعات الزجاجية المكتشفة في هذه المنطقة مجموعات من القوارير ذات البدن الأسطواني والرقاب الطويلة والحواف الضيقة الفوهة التي تظهر بهيئة حرف «T». كما اكتشفت نماذج من الصحون والأكواب والفناجين.

إضافة إلى ذلك تتوافر كمية كبيرة من الأساور الزجاجية التي صنعت، غالباً، من الزجاج غير الشفاف. وتحتوي هذه الكمية على أساور زجاجية غير مزخرفة، وأخرى مزخرفة، إما بأسلوب الحز المتموج، أو بأسلوب التطعيم. وتبدو الأساور الزجاجية غالباً باللون الأحمر القاتم، والأسود، والأزرق السماوي،

والأخضر الفاتح، والأزرق الغامق (الكحلي)، والزخرفة المضافة تظهر بألوان، أشهرها الأصفر، والأخضر الفاتح، والأبيض، وعدد من الألوان الأخرى.

أساور زجاجية من فترة ما قبل الإسلام

وتشتمل مجموعة الأساور على تنوع كبير. ففيها الأساور العريضة ذوات الأسطح المستوية أو المقببة، والأساور الدقيقة، والأساور ذوات المقطع الأسطواني الشكل. ويتوافر في المجموعة أحجام مختلفة تدل على استخدامها لمختلف الأعمار، فمنها أساور الإنسان البالغ، ومنها المتوسطة، ومنها ما هو للأطفال.

وصنع من الزجاج أيضاً عدد كبير ومتنوع من الخرز، منه الخرز الشفاف، وغير الشفاف، والخرز ثنائي اللون، والخرز الأسطواني، والدائري، والمضلع، والمثمن، والمعين، وأشكال أخرى. ويظهر الخرز الزجاجي بعدة ألوان، منها الأسود، والأحمر، والأحمر البرتقالي، والبني، والأخضر، والأزرق. واستخدم في زخرفة الخرز أحزمة دائرية تظهر بألوان تختلف عن ألوان الخرز.

وهناك أيضاً المراود المصنوعة من الزجاج التي تظهر غالباً بالألوان، الأسود، والرمادي الفاتح. وهي تتنوع في أحجامها، فمنها الصغير، ومنها الكبير. كما تظهر صناعات زجاجية أخرى، مثل مشابك الشعر. وقد عثر أيضاً على بعض الأختام المصنوعة من هذه المادة، وبعض الخواتم الدائرية؛ ففي قرية الفاو عثر على العديد من الأواني الزجاجية شبه كاملة، ومن بينها كأس فريد من نوعه ذو ألوان زاهية عليه رسومات جميلة، وأجزاء من صحون شفافة وقطع زجاجية أخرى، وبعض هذه الزجاجيات يبدو أنها مستوردة من بعض الحضارات المجاورة، وبخاصة مصر.

وفي جنوب الظهران عثر على بقايا لأوانٍ زجاجية تمثل أجزاء من القناني والقوارير والخرز المتخذ للزينة في جنوب الظهران، من بينها إناء متكامل صغير ذو ألوان صفراء معتمة، وشكل كروي

وفوهة بارزة إلى الخارج، ومقبض صغير على بدنه، بينما يحتوي على زخارف مضافة قوامها أشرطة بارزة بنية اللون تلتف حول البدن على هيئة أشكال معينة، ويعد بحق تحفة فنية فريدة.

صناعة الزجاج في العصور القديمة

صناعة الزجاج في العالم القديم من الصناعات ذات التطور البطيء، إذ استمرت لفترة طويلة من الزمن على وتيرة واحدة. ويرجّح أن الإنسان بدأ في استخدام الزجاج غير المصنع، أو ما يعرف باسم الزجاج البركاني السبخ أوالإبسيديان، خلال العصر الحجري الحديث (الألف السادس قبل الميلاد). وبعد معرفة الإنسان لهذه المادة واستخدامها أدخل عليها بعض الإضافات وصنع منها بعض الأدوات باستخدام تقنية سهلة.

وهناك نوعان من صناعة الزجاج، أحدهما يطلق عليه تزجيج وهو طبقة زجاجية تغطي سطوح بعض الأواني. وقد يكون ذلك ناتجاً عن مادة مضافة ومعدة لهذا الغرض، أو ناتجاً عن شدة حرارة الحرق التي قد تصل إلى درجة تصهر محتويات الأواني الصلصالية إلى مرحلة التزجيج. أما النوع الثاني فهو صناعة مواد من مادة زجاجية كلها أعدت لمثل تلك الصناعات. ولا يعرف حتى الآن أي منهما عرفه الإنسان أولاً، علماً بأن أكثر الباحثين يعتقدون أن معرفة الزجاج كانت تالية في تاريخها لمعرفة التزجيج.

عرف الإنسان صناعة الزجاج غير الشفاف أولاً. وكانت المواد اللازمة لصنعه يسيرة، وتشتمل على مادة الكوارتز، وكربونات الكالسيوم، والنطرون، أو رماد النبات، وكمية صغيرة من المادة الملونة. ويعتقد أن الصانع لم يكن يعرف هذه المكونات، إنما كان يعرف أن نوعاً من الرمال يعطي إنتاجاً معيناً، وبدأ بالتجربة يعرف أماكن وجود هذه الرمال. أما الزجاج الشفاف عديم اللون فإن صناعته أحدث من الزجاج الملون أو غير الشفاف. وأقدم الأدلة المتوافرة تدل على أنه اكتشف في أواخر الألف الأول قبل الميلاد. وكانت الأشياء التي تصنع من الزجاج حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد قليلة وغير متنوعة، وتقتصر على التمائم والأختام والخرز وقطع تستخدم في زخرفة التطعيم وبعض الأواني الصغيرة.

وفي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد توصل الإنسان لتحضير المواد اللازمة

لإنتاج الـزجاج وطريقة تـركيبها لـكي يتمكن من إنتاج أشياء يخطط لها مسبقاً. وقد وجدت ألواح طينية في بلاد الرافدين يعتقد أنها تعود للقرن السابع عشر قبل الميـلاد تحتوي علـى معادلات مكـتوبة لبعض المواد التي يطلبها الصانع.

وكان الإنسان في بداية أمره مع هذه الحرفة يصنع الزجاج بعدما يبرد المصهور وذلك بالقطع. ولكنه اكتشف مع مرور الزمن أن تشـكيل الزجاج وهو ساخـن يكون أكثر فائدة. واستخدم الإنسان عدة طرق لصناعـة المواد الزجاجية، أقدمها طريقة خلط المواد المطلوبة في حاوية من الفخار، ثم تسخـين المواد حتى تنصهر وتتحد وتصبح كتلة زجاجية. ثم يصب الزجاج في قوالب أو يترك الزجاج ليبرد ثم تُشكل منه المادة المطلوبة، وربما صهر المادة مرة ثانية ليشكل منها المواد المطلوبة. كما اسـتخدم الصـانع طريقـة العيدان الزجاجية.

وكانت الأواني تصـنع على حشوة من الطين الرملي الملفوفة بقطعة قماش يربط بها قضيب معدني أو خشبي، ثم يغمس الرأس الملفوف في الزجاج المنصهر ويدار لكي ينتشر الـزجاج على سطحه بالتساوي بقدر الإمكان. ثم يُخرج ويزال القضيب والرأس ويسوى الـزجاج على سطح أمـلس. ويصنع الخـرز من مادة الزجاج بطريـقة اللف على خيط رفيـع من النـحاس، وتقطع كـل خرزة على حدة. أما التـماثيل والمواد المشابهـة لها فإنها تصنع باستخدام القوالب حتى ظهور طريقة النفخ الحر.

ويـزخرف الـزجاج بـلف عـيدان زجاجية مـختلفة الألوان حول السـطح الخارجي للإناء، وتشد العيدان مرة إلى الأسفل ومرة إلى الأعلى بحيث تعطي زخرفة مـتموجة. كمـا عرفت زخرفـة التطـعيم بحـيث يضيف الإنـسان مادة ويصهرها في فجوات معينة، أو يضيف قطعًا زجاجية غير شفافة ومصنعة مسبقاً.

وفي حدود القرن الثاني قبل الميلاد عرف الإنسان طريقة النفخ الحر بعد أن اخترع الحـدادون عيدانًا معدنـية طويلة استخدمت في هـذه الطريقة. وصفتها أن توضع كتلة من الزجـاج على طرف الأنبوب فينفـخه الصانع بحيث يشكل كرة عـلى هيئـة بالون رقيـق الجدران، وبإعادة التسـخين يمكن تشكيله بشـكل الإناء المطلوب. وهذه الـطريقة جعلت الصانع يعتني بإعداد المادة الخام، ومكنته من اكتشاف مواد أخرى تضاف إلى المادة الخام لتخرج الأواني بألوان متنوعة. كما مهدت هذه الطريقـة إلى معرفة صناعة

الزجاج المسطح، وتعد متأخرة، وهي الأساس الذي قامت عليه الصناعات الزجاجية الحديثة.

الزجاج في العصر الإسلامي

أثبت المسح والتنقيب الأثري الذي أجري في مواقع شتى في المملكة وجود نماذج عديدة من الكسر والأواني الزجاجية التي تبرهن على صناعة الزجاج واستخدامه على مر العصور الإسلامية.

ففي الرياض وما حولها وجد العديد من كسر الزجاج على سطح المواقع الأثرية في الحني والبليدة والمصانع والبعيجاء ولحا وأبو قصر والأبيطح وغيرها من المواقع، وهي تمثل كسر فوهات وأجزاء من أبدان صنعت بطريقة النفخ الحر، ذات ألوان مختلفة.

كما عثر في الجبيل والعقير من شرق المملكة على العديد من أواني الزجاج المتكاملة وشبه المتكاملة، صغيرة الحجم، تمثل قوارير كروية ومستطيلة ذات أعناق تنتهي بشفة غير بارزة، وقد صنعت بطريقة النفخ الحر والنفخ بواسطة القالب ذي الألوان المختلفة. وعثر أيضاً على أجزاء من الأساور تستخدم لزينة النساء ذات ألوان زاهية وجميلة.

وفي المابيات، في الجنوب الغربي من مدينة العلا، أسفرت الحفريات الأثرية عن اكتشافات عديدة من ضمنها الزجاج الذي لم يبق منه إلا أجزاء من أوانٍ، كالصحون والقوارير والأكواب، ومن أهمها جزء من غطاء لزبدية شفافة اللون عليها زخارف مذهبة بأشكال هندسية، ذات مقبض كروي صغير من أعلى، وحافة بارزة إلى الخارج، وكذلك بوتقة شبه متكاملة صفراء شفافة ذات عنق طويل وشفة بارزة إلى الخارج، وتذكرنا تلك الآنية بقول عنترة بن شداد في معلقته:

بوتقة من المابيات

بـزجـــاجـة صـــفـراء ذات أســـرّة

قـرنـت بـأزهـار الشـمـال مـفـدّم

وأما الربذة فأسفرت الحفريات فيها عن اكتشاف أفران لصهر الزجاج، وعلى أجـزاء مـن الأواني مـثـل: الأكـواب والقوارير الصغيرة المستطيلة أو الكروية، والقوارير الـرقيقة البدن ذات الأشـكال الزخرفية الجميلة المحاطة بأسلاك معدنية وأقمـاع صغـيرة لـتفـريغ الـسوائـل، كالعطور، وقنينة زخرفت بطريقة القطع، وكوب مصنوع بطريقة القالب.

وفي عَثَّر، في منطقة جازان، اكتشفت كمية كبيرة من الزجاج، مما يدل على وجود الصناعـة فيها، وخاصة وجود بـقايا من المواد المصنعة، ويعد هذا المـوقع من أكبر المواقع الزجاجية الأثرية في المملكة، لـذا فإن التحدث عن زجاجها يطول ويحتاج إلى دراسة مفصلة، ولكن نشير إلى وجود كميات كبيرة مختـلفة ومتعددة تمثل بقايا حواف لصحون كـبيرة وبوتقات وقوارير وقناني صغيرة، وقد استخدمت فيها طريقة النفـخ الحر، والنفـخ بواسطة الـقالب، واحتوت على زخارف مضافـة ومقطوعة ومضغوطة، ومن أهـمها: إناء كبير غير مكتمل، وهو بوتقة قطرها ١٨سم، فقد الجزء الـعلوي مـنه، وهي زرقـاء اللون معتمة، عليـها بعض الأكسدة الصفراء، صنعت بطريقة النفخ الحر.

ونظراً لجملة ظروف خاصة بطـبيعة هذه المادة الهشة القابلة للكسر التي ربما

إناء من عَثَّر – منطقة جازان

لم تجذب انتباه الباحثين لدراستها كغيرها من الفنون المتعددة، مثل الفخار والخزف والأخشاب، فإن الزجاج بصفة عامة، وفي المملكة بصفة خاصة، لم يحظ إلا بالنزر اليسير من البحث والدراسة. ولعل ذلك أدى إلى عدم التعرف على الكثير من الأنماط الشكلية للأواني الزجاجية، وكذلك عدم الدقة في معرفة طرق صناعة هذه المادة وزخرفتها في العصور الإسلامية، هذا إلى جانب عدم الوصول إلى الكثير من المعطيات المترتبة على قلة الأواني والأدوات الزجاجية ذات الأحجام الكاملة.

واعتماداً على القليل مما عثر عليه من هذه المادة، وبالمقارنة مع مواد أخرى مماثلة، أمكن التعرف على خصائص الزجاج الإسلامي الذي وجد في مواقع المملكة، وهي على كلٍ متشابهة إلى حد ما مع الخصائص المعروفة عن زجاج الأقاليم الإسلامية المجاورة. وقد كان للموقع الاستراتيجي لهذه المنطقة منذ فجر الإسلام دور بارز في صناعة وتجارة كثير من الصناعات والحرف اليدوية على اختلاف أهميتها وحاجة الإنسان إليها. ذلك أن المنطقة كانت تعد من ناحية من أهم الأماكن التي تعبرها قوافل التجارة حاملة معها شتى أنواع السلع والمنتجات، ومن ناحية أخرى لأنها قبلة المسلمين ومقصد الحجاج والمعتمرين الذين يفدون إليها من كافة بقاع المعمورة.

ولهذين السببين الأساسيين كان لا بد من وجود الكثير من المنتجات الصناعية المستوردة، ومن بينها الزجاج، إلى جانب ما هو مصنع محلياً في مراكز النشاط التجاري الموجودة داخل مواقع المملكة. ولعل تشابه المصنوعات المحلية مع المستوردة من حيث الأنماط الشكلية والاستخدام، يؤدي بطبيعة الحال إلى اندماج المنتجات بعضها في بعض، كما يؤدي في الوقت نفسه إلى صعوبة التمييز بين الصناعات المستوردة والمحلية في كثير من المنتجات الفنية، وخصوصاً في مادة ذات معثورات قليلة كالزجاج.

صناعة الزجاج في العصر الإسلامي

زاول الزجّاجون المسلمون أساليب متنوعة لصناعة الأواني والأدوات الزجاجية. وقد كانت معظم هذه الأساليب مستخدمة قبل الإسلام، إلا أنه بانتشار الإسلام في أقاليم شتى ذات أصول حضارية مختلفة، وجرت عادة المسلمين فيها على ترك الحرف والصناعات بأيدي أصحابها الأصليين حتى قبل دخولهم في الإسلام، فإن تلك الطرق

الصناعية طرأ عليها الشيء الكثير من التحسن والتقدم. وقد أدى ذلك إلى ابتكار أساليب صناعية وزخرفية جديدة لم تعرف من قبل. كل ذلك انعكس بدون شك على اكتشاف أشكال جديدة من الأدوات والأواني الزجاجية، مما ساعد على كثرة استخدامها وتداولها حالة بذلك محل الكثير من الأواني المصنوعة من مواد أخرى، كالفخار والخزف والمعادن. تلك الأساليب الصناعية والزخرفية التي استخدمت في تلك الحقب الإسلامية وغير الإسلامية ظلت تمارس بمواصفاتها القديمة نفسها، مع شيء من الاختلاف الذي حدث ليواكب ما استحدث من أدوات وأساليب صناعية جديدة.

أدوات الصناعة والزخرفة. نظراً لطبيعة مواد الزجاج التي تتطلب معظم مراحل صناعتها وزخرفتها أن تكون هذه المادة مصهورة ومسخنة، فإنه لا بد من استخدام أدوات عديدة متنوعة منذ بداية عملية الصهر حتى إكمال صنع الآنية؛ على أنه من غير اليسير التعرف على المواصفات الكاملة للأدوات التي كانت تستعمل سابقاً، وإن كان من غير المستبعد أن أشكالها لا تختلف كثيراً عن أشكال الأدوات المستخدمة لدى الحرفيين التقليديين؛ إذ إن طرق الصناعة والزخرفة لم يطرأ عليها الشيء الكثير عن ذي قبل. فهناك بوتقة الصهر التي تجمع بها المواد الخام الأولية المكونة للزجاج، مثل الرمل والأكاسيد، ثم هناك الأفران التي تصهر بداخلها تلك المواد كخطوة أولى للصناعة، أو تستخدم لعمليات التسخين المتكررة في مراحل الزخرفة والصناعة المتعددة. ثم القوالب التي تساعد في عملية تشكل الأواني بالنفخ، وتصنع إما من الفخار أو المعدن أو الخشب. وتؤدي القوالب دوراً أساسياً في الصناعة، فقد كان الصناع يشكلون الزجاج بنفخه في قالبين، الواحد بعد الآخر، بحيث ينطبع على الأواني المصنوعة ما بتلك القوالب من عناصر زخرفية، كالتعرجات والتموجات.

وهناك أنبوب النفخ المعدني الذي كان لاستخدامه، بالرغم من بساطة تركيبه، أكبر الأثر في تطوير صناعة الزجاج وزيادة إنتاجه وتداوله. فبالنفخ بالفم يمكن تحويل كتلة صغيرة من مصهور الزجاج إلى تحفة فنية غاية في الروعة والجمال، سواء كان ذلك النفخ بالاستعانة بالقالب أو دون ذلك، وكل ذلك يعتمد بلا شك على براعة الزجّاج ومهارته.

ومن أدوات الصناعة والزخرفة أيضاً، الملقط الذي يستخدم لعملية

سحب مادة الزجاج الذائبة وتحويلها إلى خيوط تجمع على شكل حزم، ثم تقطع على هيئة أقراص لعمل الأنماط المختلفة من الأواني الزجاجية، أو تستغل بحد ذاتها كعناصر زخرفية جميلة. كما أن الملقط يستعمل لتنفيذ بعض العناصر الزخرفية من قبيل الذيول الزجاجية الملونة والنقاط وما شابهها. ويتم ذلك بالضغط على جدران الآنية وهي ما تزال طرية.

وهناك أدوات مهمة تستخدم مباشرة في صنع الزجاج، مثل الكماشة أو الكلابة التي تستخدم لتقطيع أجزاء الأواني الزجاجية حسب الحجم المراد، وكذلك لعمل بعض التفاصيل الشكلية في الآنية. وهناك المثقب وهو أداة عمل الثقوب وتوسيعها وإعطائها أشكالها النهائية. وهناك العجلة التي يمكن تنفيذ أنواع عديدة من العناصر الزخرفية بها، من قبيل نقش الزجاج وحفره، ولمثل ذلك يستخدم الدولاب عندما تكون الزخارف مقطوعة.

ومن أدوات زخرفة الزجاج أنواع من الرِّيَش والفرش التي توضع بها مواد التذهيب والمينا. كذلك هناك أدوات الكشط والحفر والحز والطبع مثل الإبر والمثاقب والمحززات والمناقيش و(الأختام) وغيرها. ومنها أيضاً آلة تشبه المشط الخشبي لتمشيط العناصر التجميلية عند إعطائها أشكالاً معينة، بحيث يسحب مصهور الزجاج وهو ما يزال طرياً فتتكون منها أشكال عديدة مختلفة مثل أسنان المنشار وضلوع السمك.

طرق صناعة الزجاج. قبل الحديث عن طرق الصناعة مفصلة لا بد من الإشارة إلى أن هناك خطوات أساسية ينبغي تنفيذها مع غالبية هذه الطرق. فمن ذلك إذابة مادة الزجاج وتحويلها إلى مصهور قابل للتشكيل، وكذلك إعداد الأدوات المناسبة التي تساعد على التشكيل والزخرفة قبل برودة المادة الزجاجية أو بعدها. كما أن هناك مراحل مهمة ربما تتبع مع كافة الطرق الصناعية، وهي تشكيل البدن الأساسي للآنية أولاً، ثم إضافة الأجزاء الأخرى إليها، مثل المقبض والغطاء في مرحلة أخرى، وأخيراً يتم تهذيبها وصقلها نهائياً.

وأشهر الطرق التي صنعوا بها أوانيهم هي طريقة الضغط على القالب، وطريقة القطع البارد، وطريقة النفخ، وطريقة غمس القالب في مصهور الزجاج، وطريقة السَّحب.

طريقة الضغط على القالب: أشهر طرق صناعة الزجاج هي طريقة الضغط

على القالب. ويعد هذا الأسلوب الصناعي أحد أقدم الأساليب في إنتاج الزجاج، فهو بدائي في خطواته ومتواضع في أشكاله. وتتمثل هذه الطريقة بإعداد قالب طيني يأخذ الشكل الأساسي للإناء المراد صناعته، وفي الوقت ذاته تحوّل خلطة المواد الزجاجية بالفرن إلى عجينة مصهورة توضع على جدار القالب من الخارج إن كان مصمتاً، أو من الداخل إن كان مجوفاً. وبعد أن تجف العجينة الزجاجية يفتت القالب الطيني بالحفر والماء. وبعد ذلك تضاف الأجزاء المتبقية للإناء، وهي تصنع مسبقاً على حدة، كالمقابض والقاعدة والغطاء. وفي المرحلة النهائية يصقل الإناء ويلمع بعد ذلك.

طريقة القطع البارد: للحصول على منتجات زجاجية بهذا الأسلوب يلزم صهر المواد الزجاجية كمرحلة تحضيرية تمر بها كل طرق صناعة الزجاج. ولكن في هذه الحالة يقطع المصهور إلى كتل ذات أشكال مختلفة ثم تترك حتى تبرد. ثم بعد ذلك يبدأ تنفيذ المرحلة الثانية، وهي تشكيل هذه الكتل الصلبة حسب الشكل المطلوب بتهذيب وتقطيع جوانبها بالعجلة أو بحفرها للحصول على الأواني المرادة، سواء كانت مصمتة أو مفرغة. ثم تصقل وتضاف إليها عناصرها الزخرفية.

حبات من الخرز الزجاجي – موقع الربذة

وتعد هذه الوسيلة من أنسب الطرق الصناعية التي يمكن بها الحصول على أنواع الخرز، حيث يمكن أن تسحب بعض القضبان الزجاجية وبعد جفافها تقطع بأحجام مناسبة ثم تخرم حسب الرغبة. كما أنه يمكن الحصول على مثل هذا الخرز بإحاطة سلك معدني بمصهور الزجاج الذي يلبك عليه على شكل قضيب، ثم يسحب السلك المعدني ويبقى القضيب الزجاجي مفرغاً على طوله. وبعد ذلك يقطع القضيب على شكل خرز حسب الأحجام المرغوبة.

طريقة النفخ: يُعد استخدام هذه الطريقة بوصفها أسلوباً صناعياً بمثابة قفزة لدى أصحاب هذه الصنعة الدقيقة. فمنذ أن بدئ باستخدامها أخذ الصناع يعملون أفكارهم لابتكار نماذج زجاجية جديدة غاية في دقة التصميم وإتقان الصنعة،

بل ربما كانت سبباً أساسياً وحافزاً لهؤلاء الصناع للإكثار من صناعة الزجاج واستخدامه. وقد استخدمت طريقة النفخ بأسلوبين مختلفين هما:

النفخ بالقالب عن طريق استخدام أنبوب معدني يوضع بأحد أطرافه كتلة الزجاج المصهورة، ويدخل في قالب يعد مسبقاً حسب الشكل المطلوب، ثم ينفخ من الطرف الآخر للأنبوب فتتخذ جدران العجينة، التي تكون على هيئة البالون، شكل القالب من الداخل بما فيه من تفاصيل. ويمكن تشكيل الزجاج في قالبين الواحد بعد الآخر، وتتخذ هذه من قطعتين من الفخار أو المعدن أو الخشب. وبعد إكمال الشكل الأساسي للإناء تضاف الأجزاء الأخرى كالمقبض والغطاء والمصب، كما تضاف إليه العناصر الزخرفية في مرحلة لاحقة. ويلاحظ أن الأواني المصنوعة بهذه الطريقة تكون عادة منتظمة وسميكة نسبياً.

قارورة من الزجاج مصنوعة بطريقة النفخ

والأسلوب الثاني هو النفخ الحر، ويُسمى أيضاً النفخ بالهواء، أي من دون استخدام القالب المستعمل في الطريقة السابقة، ويتم ذلك باستخدام ذلك الأنبوب المعدني فقط، بحيث تلتقط بنهايته العجينة الزجاجية وينفخ في الأنبوب فيدفع الهواء المضغوط في وسط العجينة جوانبها إلى الخارج، ثم يشكل الإناء المطلوب يدوياً بإدارة الأنبوب في الهواء، أو على طاولة ذات سطح أملس، أو بها نتوءات تترك أثرها على جدران الإناء كعناصر تجميلية. وفي هذا الأسلوب لابد من استخدام أدوات الصناعة، مثل الملقط والكماشة وغيرها بطريقة ماهرة.

طريقة غمس القالب في مصهور الزجاج: تؤدى هذه الطريقة بإعداد قضيب خشبي يثبت حول أحد أطرافه النموذج أو القالب الذي يراد تقليده، ويكون من الرمل، ثم يغمر الشكل مع القضيب الخشبي في محلول ذائب من

الزجاج بحيث يغطيه تماماً. بعد ذلك يرفع الشكل من المحلول الزجاجي الذي يلتصق بالقالب، ويترك حتى يبرد، ثم ينزع القضيب الخشبي، ويبعد القالب الرملي. وهكذا ينتج إناء من الزجاج على هيئة إناء الرمل الأول، ثم يأخذ الصانع في صقل الإناء بإضافة الأجزاء المكملة والعناصر الزخرفية.

طريقة السَّحْب: تقوم هذه الطريقة على سحب مصهور الزجاج وتحويله بواسطة الملقط إلى حبال لينة تجف لتكون على هيئة قضبان تجمع متراصة باتجاه واحد. ثم تصهر هذه الحزم حتى يتحول كل منها إلى قضيب واحد ترى على مقطعه العرضي دوائر مشكلة من الحبال الرفيعة الأساسية، وبعد جفافها تقطّع هذه القضبان في مرحلة لاحقة إلى قطع عرضية، تكون على شكل أقراص مستديرة، تأخذ ألوان المصهور الذي سحبت منه. ومن هذه الأقراص يمكن تشكيل نماذج الأدوات والأواني الزجاجية المختلفة الأغراض، وهي تحتاج، بلا شك، إلى درجة عالية من الدقة والمهارة.

ويمكن استغلال تلك الأقراص الزجاجية التي تشبه خلية النحل لتشكيل عناصر زخرفية غاية في الروعة والجمال، لدرجة أنه أصبح يطلق عليها في زخرفة الزجاج اسم زخرفة الألف زهرة. وتعد طريقة سحب مصهور الزجاج بالملقط وسيلة ناجحة لصناعة أنواع الخرز الذي يستعمل لأغراض متعددة، من أشهرها الحلي وأدوات الزينة، ذلك لأنه عند سحب المصهور الزجاجي وتشكيله على هيئة حبال لينة فإن هذه تكون مجوفة من الداخل، بحيث تترك حتى تجف ثم تقطع حسب الحاجة إليها.

طرق زخرفة الزجاج. مما لاشك فيه أن المنتجات الزجاجية ليست كلها تحمل عناصر زخرفية، وفي هذه الحالة تكون الآنية الزجاجية بعد الانتهاء مباشرة من صناعتها جاهزة للاستعمال من دون أن تمر بمراحل التجميل اللاحقة. على أن خلوها من ذلك لا يعني أنها أقل جمالاً أو أهمية من تلك المزخرفة، إذ إن تصاميم تلك القطع الملساء وأشكالها، بالإضافة إلى دقة صناعتها وإتقانها، تكسبها جمالاً وجاذبية.

أما القطع المزخرفة، فإن عناصرها الزخرفية تُنفذ بأساليب متعددة، سواء وقت الصناعة، أي في المرحلة نفسها التي تشكل فيها الآنية وتصنع، أم بعد انتهاء عملية الصناعة، إذ تضاف الزخارف، والآنية ما تزال حارة، ثم يعاد تسخينها كي تلتصق المادة المضافة

بالزجـاج الأصلي. وفي أحـيان قليلـة تزخرف في المرحلتين كلتيهما. واتبـعوا في ذلك ست طرق:

الطريـقة الأولى: من أشهر طـرق زخرفة الزجاج الزخرفة المنفذة بواسطة قالب النفخ إذ يمكن الحصول على نماذج متعددة من العنـاصر الزخرفية بواسطة القالب الذي يُنفخ فيه أو تـضغط عليه العجينة الزجاجية وقت صناعتها، فينطبع على الإناء ما هو موجود في القالب من زخارف شتى، قـد تكون تضليـعاً في جدار الإناء، أو على هيئة خلايا النحل، وقد تكـون زخارف بارزة من أشـكال مختلفة من الكتابات والرسوم الهندسية وغيرها.

الطريـقة الثانـية: هي طريـقة الحز والحفـر والفرق بين هـاتين الطـريقتين المتشابهتين يكـمن في كيفية تنفيذهما، فالحز أو الخدش هو كـشط طبقة رقيقة جداً من سطح الآنية المزخرفة بحيث لا تكاد ترى تلـك الطبقة المحزوزة، ويتم ذلك بـأداة مدببـة لتنـفيذ أي نوع مـن الزخارف. ويمكن الإعداد لهـا بتسخين الآنية وتلميعها كمرحلة نهائية، خصوصاً إذا أضيفت إلى تلك الخدوش طـبقة أو بطانة زجاجـية تجميلية. أما الحفـر فهو حز العناصر المراد زخرفتها بشكل غائـر وعميق، ويكون ذلك إما يدوياً أو بعجلة خاصة بذلك.

وبهذين الأسلوبين الزخرفيين يمكن تنفيذ كافة العناصر التجميلية على سطوح الأواني الزجاجية، كما يمكن أن تـكون مجرد مراحل مكملة لأسالـيب زخرفية أخرى.

الطريقة الثالثـة: تتمثل في الضغط على جدار الإناء للحصول على عناصر زخرفية لحظة تشكيل الآنية بطريقة النفخ الحر، وهي ما زالت لينة ومثبتة بأنبوب النفخ، بحيث يمكن أن يستعين الزجَّاج بطاولـة ذات سطح به عناصـر زخرفية تنطبع بسهولة على الآنية. وبأسلوب آخر يستطيع الصانع الحصول على مثل هذه الزخارف عن طريق الضغط على جدار الإناء بعد الانتهـاء من صناعته وهو ما يزال ليـناً، وذلك بأدوات خاصة عـلى هيئة المـلقاط أو الإزميل تحمـل عناصر زخرفية معينة تنطبع على جدار الإناء. وتشكل العناصر الجمالية على هيئة أشرطة تحوي عنصراً منفرداً يتكرر عدة مرات، أو عناصر متداخلة أو متجاورة تنفذ بشكل فني جذاب، كما يمـكن تنفيذ العناصر الزخرفية، خصوصاً الكتابية منها، بأختام ذات كتابات عربية من قبيل اسم صاحب الإناء أو صانعه أو جمل دعائية وغيرها.

الطريقة الرابعة: تتمثل في إضافة الخيوط الزجاجية الملونة بعد تشكيل الآنية الزجاجية وقبل أن يصل إلى درجة الجفاف، ويكون الصانع قد أعد مصهوراً زجاجياً من اللون نفسه أو من لون مغاير للون الإناء؛ فيسحب من ذلك المصهور بملقط أو أداة خاصة خيوطاً رفيعة يلفها حول بدن الإناء ثم تضغط على جدار الإناء، وينتج عن ذلك شكل زخرفي جميل يشبه السلة أو الشبكة، ويمثل هذه الطريقة يمكن أن تضاف نقط أو كرات زجاجية صغيرة. وهذا الأسلوب الزخرفي يستخدم غالباً لعمل العناصر الزخرفية ذات الأشكال غير المعقدة.

قارورة زجاجية عليها زخارف، منفذة بطريقة القطع والإضافة

الطريقة الخامسة: هي طريقة الزخرفة بإضافة طبقتين زجاجيتين، وتتم بعد الحصول على القطعة الزجاجية التي صنعت من مادة ذات لون معين. فيضاف إلى جدرانها طبقة أخرى ذات لون مغاير للون الإناء الأصلي بغمسه بالمصهور الزجاجي، وهكذا تتكون طبقتان ملتصقتان بعضهما ببعض، ثم تحفر على الطبقة الخارجية الزخارف المطلوبة. وتكمن أهمية هذه الطريقة في ناحيتين: الأولى وظيفية، والمراد منها تقوية جدار الإناء المصنوع، أما الثانية فهي جمالية يريد منها الزجَّاج تقليد الأحجار الكريمة الطبيعية.

الطريقة السادسة: هي استخدام التذهيب والمينا بإضافة مادة الذهب الخالص الذي ترسم به العناصر التجميلية، ثم توضح التفاصيل خدشاً بالإبرة. كما تقوم على إضافة طبقة رقيقة من سائل التذهيب تثبت فوق سطح الإناء وتنقش الزخرفة المطلوبة على هذه الطبقة الذهبية، ثم تكشط خلفية الرسم حتى يتضح سطح الإناء ليبقى العنصر الزخرفي وحده في لونه الذهبي. وبعد ذلك يغطى كامل الإناء ببطانة من الزجاج الشفاف ويترك حتى يجف، فيبدو الرسم المذهب محصوراً بين طبقتين من الزجاج.

وهناك أسلوب آخر مماثل هو التلوين ذو البريق المعدني، الذي يشبه إلى حد كبير البريق المعدني على الخزف، حيث تلون الزجاجيات ثم تسخن حتى يثبت اللون على جدار الإناء.

أما زخرفة الزجاج بالمينا، فلها طرق متنوعة تمر بمراحل فنية متعددة. وتستخدم فيها مادة تتكون من مسحوق الزجاج الذي يخلط ببعض الأكاسيد، ثم يذاب المخلوط في مادة زيتية حتى يتحول السائل بالتسخين إلى درجة معينة ويصبح صالحاً للرسم به. وتختلف ألوانها باختلاف الأكاسيد الموجودة في الخليط، فللحصول على اللون الأبيض يستعمل أكسيد القصدير، أما اللون الأخضر فيؤخذ من أكسيد النحاس، والأحمر من أكسيد الحديد بينما يحصل على المينا الزرقاء من مسحوق اللازورد مع زجاج لا لون له.

ويمكن الزخرفة بالمينا بإضافة شرائح مكعبة من مادة المينا الصلبة بحيث تقطع على أشكال الزخارف المرادة، على غرار زخرفة المجوهرات لكي توضع على سطح الإناء ثم تدخل الفرن لتثبيتها نهائياً. ومثل ذلك يتم بعمل مكعبات من قطع زجاجية على أشكال الفسيفساء، تقطع إما بالعجلة أو تنحت بحجر الصوان أو بأحجار كريمة كالألماس، بحيث توضع على بدن الإناء ثم تدخل الفرن لتثبت. ومن وسائل استخدام مادة المينا ما يتم عن طريق رسم العناصر الزخرفية على الإناء بالريشة للخطوط الخارجية وبالفرشاة في المساحات الكبيرة.

العناصر الزخرفية. يلفت النظر أن أكثر الزجاجيات المكتملة التي عثر عليها في مواقع المملكة ملساء خالية من الزخارف، وإن كانت تحمل شيئاً يسيراً منها كتلك التي تتم وقت تنفيذ مراحل الصناعة، مثل التموجات والبروزات أو النتوءات، والأسلاك المضافة. وعلى أية حال فإن العناصر الزخرفية في الزجاجيات المكتملة أقل من العناصر الموجودة على الكسر الزجاجية التي تتعدد فيها أشكال العناصر الزخرفية وطريقة تنفيذها. فقد عثر على كسرٍ ذات عناصر هندسية محزوزة بطريقة دقيقة، ومنها ما هو محاكاة للبلور الصخري، حيث تتعدد الألوان التي تنفذ في سمك الجدار الزجاجي، ومنها كسر ذات عناصر هندسية ونباتية مطلية بدهانات متنوعة مع حزوز سطحية على حوافها. ومنها كذلك ما يحتوي على نتوءات معمولة بقالب النفخ عندما كانت مادتها لينة طرية.

الأواني الزجاجية. كشفت الدراسات الآثارية الميدانية الحديثة عن كثير من أنواع هذه الأواني واستخداماتها. فقد كشف عن مجموعة من الزجاجيات الإسلامية المكتملة خلال مواسم التنقيب المتتابعة التي أجريت في حفريات الربذة. ومعظم هذه القطع مصنعة محلياً، حيث عثر على مكان لصهر الزجاج وتحضيره في واحدة من غرف القصر (موقع أ). وفي أماكن أخرى من مناطق الحفر الأثري وجدت بعض الأفران الصغيرة أو المواقد التي يعتقد أنها كانت مخصصة لصنع الزجاج، إضافة إلى ذلك فقد عثر على بعض القطع التالفة.

ومن أهم ما عثر عليه في موقع الربذة القوارير المصنوعة من زجاج شفاف بألوان متعددة، منها الأخضر والأبيض والأزرق السماوي، ومنها ما صنع من زجاج داكن يوحي بتقليد البلور الصخري، وبه تموجات زخرفية أفقية ورأسية. ومعظم هذه الأنواع صنعت بطريقة النفخ في الهواء، وفي حالات قليلة بطريقة النفخ بالقالب، مع استخدام طرق مساعدة تكميلية للتشكيل النهائي وللزخرفة، مثل الضغط بالملقط والقطع والحز وغيرها. ومن هذه الأنواع قوارير ذات حجم كبير يصل ارتفاعها إلى ٢٥سم وقطرها إلى ١٨سم، أبدانها دائرية كروية، وأعناقها قصيرة، مع فوهة لها شفة معقوفة نحو الخارج. وهناك القوارير الصغيرة التي يتراوح ارتفاعها بين ٣ إلى ٧سم، وقطرها من ٢سم إلى ٥سم. وهي ذات أبدان دائرية أو بيضية أو متطاولة، مع أعناق قصيرة تنتهي بشفاه مختلفة الأنماط. كذلك عثر على قوارير صغيرة أبدانها ذات أضلاع تتراوح بين أربعة وثمانية أضلاع، وأعناقها دائرية ملساء.

قارورة من الزجاج النقي بموقع الربذة

ومما يلاحظ على مجموع هذه القوارير أنه لم يعثر على أغطيتها الخاصة بها، ولعلها كانت تغطى بسدادات خشبية أو زجاجية أو حتى معدنية تزود بمرود يستخدم لاستخراج ما يحفظ بها.

كوب زجاجي من موقع الربذة

كما عُثر خلال مـواسم التنقيب في مدينة الربذة على زجاجيات ذات أشكال يندر مثلها، منهـا قارورة صغيرة، بدنها ذو مقطـع مربع، وفي أركـانها الأربعة بروزات مدببة شكلت بالقطع لتكون قاعدة تجلس عليها، وهذه البروزات تعطي القنينة شكل الضرس. أما العنق فهو أسطواني الشكل، وإن كـانت به أضلاع خارجية متفاوتة الأحجام. ومما يجذب الانتباه أن أسفل هذا العـنق وكذلك الجزء العلوي من الأكتاف مزودة بسلك معدنـي فضي أو نحاسي ربما كان له طابع جمالي، إلى جانب وظيفته لـتثبيت سلسـلة سـدادة فوهـة القنينـة.

ومن القطع الـنادرة أيضاً جرة ذات بدن كروي أملس ناعم الملمس، ترتكز على قاعـدة دائرية صغيرة، ولـها عنق قمعي ينتهي بشفة حلقية. ويطوق هذه الشفة من الأسـفل حلقة زجاجية ذات لون داكن، وربما كانت وظيفتهـا تثبيت سلسلة تمسك بالسدادة. وتبرز من نقطتين متقابلتـين في كتف القنينة أُذنان تتصـل كل منهمـا بأعلى الشفة وتنـتهي ببروزٍ طفيف. والأذنـان مشكلتان على هـيئة مقبض جانبي، ولكن يبدو أنه لم يقصد من وضعهما سوى الزخرفة، نظراً لصغر حجـميـهما كـمقـابض. وهذه الجـرة مصنوعة بطريقة متواضعة على هيئة حبال

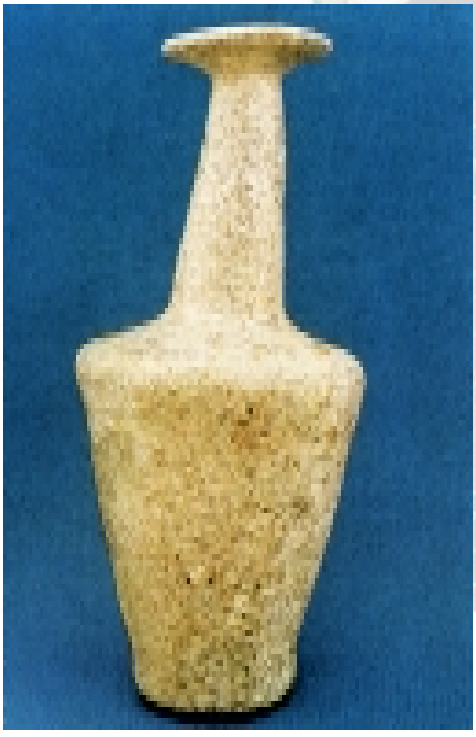

قارورة من الزجاج بموقع الربذة

الصلصال الطينية ومضغوطة بالملقط عندما كانت مادتها طرية.

كذلك عُثر على أداة فريدة، مصنوعة من زجاج قاتم أملس شفاف، وهي إناء طبي يتكون من جزءين أساسيين هما البدن والأنبوب الجانبي. فالجزء الأول وعاء يشبه الفنجان له قاعدة دائرية صغيرة وينتهي بشفة سميكة. أما الأنبوب الجانبي فيشبه القمع الزجاجي، لكنه في هذه الحالة متصل بأعلى البدن بطريقة أفقية مائلة، بحيث ينساب بطول يتجاوز ٤سم نحو طرف ضيق جداً حتى يسهل التحكم به عند صب السوائل. وعن وظيفة هذا الإناء يمكن القول إن صغر حجمه يدل على دقة في كيفية استخدامه، كأن يكون إناءً طبياً للأنف أو الأذن، أو ربما يكون إناء اختبار في معمل طبي أو كيميائي خاص.

وإلى جانب ما أوردنا عن الأواني الزجاجية، فهناك نوع آخر مصنوع من مادة الزجاج لا يقل أهمية عنها، ألا وهو الخرز. فقد عُثِر على مجموعة جيدة منه في عدة مواسم، وهي متنوعة الأحجام والأشكال. فمنها ذات الأحجام الصغيرة، ومنها الكبيرة، ومنها ما هي بسيطة ومتواضعة الشكل مصنوعة من زجاج عادي لونه أسود أو أبيض أو أزرق، ومنها الجميلة الجذابة ذات الألوان المتعددة والأشكال الفريدة. ووظيفة الخرزة تتمثل في عدة أمور، من أهمها استخدامها بشكل فردي أو منتظم عقوداً للزينة، سواء كان ذلك على الجيد أو مع الشعر أو على الملابس. ومن استخدامات بعض هذه الخرزات أن تكون معدة كأزرار لبعض الملابس الرجالية أو النسائية. كذلك لا يستبعد استخدام بعض منها تعاويذ أو حروزاً سواء للإنسان أو للحيوان.

وهناك مواقع أخرى داخل المملكة أجريت فيها حفريات أثرية أسفرت عن الكثير من الأدوات والأواني الزجاجية، منها ما هو مصنع محلياً ومنها ما هو مستورد للاستخدام أو للتجارة. ومن هذه الحفريات ما قامت به إدارة الآثار والمتاحف في موقع عَثَّر بمنطقة جازان، إذ تم العثور على الكثير من الأواني الزجاجية المصنوعة بطريقة النفخ. وقد صنفت هذه الأواني حسب أشكالها أو عناصرها الزخرفية، فمنها الأواني الزجاجية العادية، والأواني المقطوعة، والمنفوخة، والمختومة، والمضغوطة، والمضافة، والمنقوشة. وكذلك تشمل هذه المعثورات الزجاجية عدداً غير قليل من الأوعية الزجاجية شبه الكاملة من قبيل

الأقداح والقوارير والبوتقات والأطباق، والكثير من العينات المتنوعة من الكسر، مثل الأعناق والحواف والقواعد وغيرها. وتغطي هذه المعثورات الزجاجية الإسلامية فترة زمنية تمتد من القرن الأول وحتى السابع الهجري. أما عن مصدر هذه الزجاجيات فمن المحتمل أن أغلبها مستورد. وعلى الرغم من ذلك وجدت بعض الشواهد والأدلة، مثل الزجاج الخام والأكوام والتلال المخروطية الصغيرة التي يُرجح أن تكون أفراناً لصناعة الزجاج محلياً.

كذلك عثر على بعض الكسر الزجاجية بموقع المابيات، وهي أجزاء من أوان صغيرة وقوارير وصحون ومزهريات وأكواب متفاوتة السمك وملونة بالأخضر والأزرق والبني. وأغلب الظن أن هذه المجموعة معدة للاستعمالات المنزلية أو لحفظ الزيوت والعطور. ويأتي الكثير من هذه الأواني الزجاجية ملساء خالية من الزخرفة، في حين أن هناك نماذج مزخرفة بالخيوط الزجاجية البارزة والمضافة، وكذلك بأسلوب الزخرفة بالنقش والحفر. هذا إلى جانب ظهور بعض الكتابات العربية وغيرها من العناصر النباتية والهندسية منفذة بالبريق المعدني وألوان المينا. كذلك عثر في موقع المابيات على بعض الصنج الزجاجية المستديرة التي ترجع إلى العصر الفاطمي.

إن طبقة المعثورات الزجاجية التي عرضنا جانباً منها تشير بجلاء إلى أنّ الصناعات الزجاجية عرفت بشكل كبير وفعال في هذه المنطقة خلال الفترات الإسلامية المختلفة. كما أنها تثبت أن المواقع البكر التي لم تكتشف بعد جديرة بأن تحتوي على مثل ما حوته هذه المواقع.

الحلي

يحب الإنسان العناية بمظهره وجمال هيئته، فهو شديد الحرص على كل ما يزيد في حسنه ويؤكد جماله. وهذه الصفة مشتركة بين الذكور والإناث، إلا أن المرأة بحكم وظيفتها في الحياة وبما اختصت به من حس مرهف وأنوثة جذابة كانت أكثر من الرجل حرصاً على الجمال وتوقاً إلى تأكيد ذاتها من خلاله.

والتزين في الأصل له صلة قوية بالوظائف الحيوية للأجناس، إذ هو وسيلة من بين وسائل لفت نظر الآخر، فالروائح والأصوات والألوان كلها وسائل جذب أو صدٍّ حسب الموقف؛ لذا نجد العالم حافلاً بالأزهار والطيور والأسماك الملونة. وكان من الطبيعي أن يتخذ الإنسان وسائل جذب للآخرين، وبما

وهب من عقل، أبدع في وسائل تزينه، ومن ذلك اتخاذه الحلي.

والحلي في اللغة ما يُتَـزين به من مصوغ المعـدنيات أو الحجارة، والحلي كل حـلية حُلِّـيت بهـا إمرأة أو سيف ونحوه، والجمع حُلي. وقد ورد اللفظ في آيات عدة من القرآن الكريم وبصيغ مختلفة، قال تعالى ﴿واتخذ قوم موسى من بعـده من حليّهـم عجلا جسداً لـه خوار﴾ (الأعراف: ١٤٨). وقال تعالى ﴿أنزل مـن السمـاء ماء فسالـت أودية بقدرهـا فاحتمل السـيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبدٌ مثلـه﴾ (الرعد: ١٧). وقال تعالى ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منـه حلية تلبسونها﴾ (النحل: ١٤).

الحلي في العصور القديمة. سبق أن أشرنا إلى أن معظم المواقع الأثرية في المملكة، لاسيما تلك التي تمثل فترة ما قبل قيام الممـالك العربية، وجد فيها أعداد كـبيرة مـن النقـوش والرسـوم الصخرية. وهي بذلك تعد رافداً مهماً لدراسـة أحوال سـكان تلـك الفتـرة ونشـاطاتهـم. ثم إن المواقـع الأثرية المكتشفة التي تعود إلى تلك الفترات، ولعل أهمها وأقربها فترة العصر الحجري الحديث، لا تعطي صورة واضحة عن أنماط حياة شعوب ذلك العصر، فضلاً عن محاولة البحث في خبايا تلك الفترة عن تفاصـيل شؤون حياتهـم اليومية وأوضاعهم الاجتماعية التي لا نـشك أن المـرأة أدت فيـهـا دوراً في غـاية الأهمية. ولمّا كانت حضارات شعوب العصور القديمـة تنحصر في ما خلفه إنسانها على سطح الأرض، فإن الآمال تتضاءل في الحصول على جديد، نظراً لقلة ما خلفه من ناحية، ولتعرض تلك المخلفات للتلف نتيجة العوامل الطبيعية من ناحية أخرى.

ومن الرسوم الصخرية التي وجدت في منطقة بئر حمـى، مناظر مختلفة لنساء ورجال يؤدون رقصات مختلطة لا نشك أنها تمثل نـوعاً من الطقوس السائدة آنذاك. وإن كنا لا نملك قرينة علمية تفـسر لنا كُنْهَ تلك الطقـوس، غير أن ما يهمنا في هذا الصدد هو ما تظهره تلك الرسـوم من حلي أبرزها فنان تلك الرسـوم على نحور النساء إضافة إلى ما يشبه الخلاخيل في سيقان الرجال.

أما الخرز فكان شائع الاستعمال ويعد من أدوات الزينة الرئيسية، وقد استخدمه الإنسان منذ القدم، وكان يصنع من الحجر

الصلد العادي. ثم استعمل الحجر الصابوني، والزجاج البركاني، وأخيراً توصل إلى تطويع الكثير من الأحجار الكريمة في صناعة الخرز، كالياقوت والزمرد وغيرها.

ولم تكن أدوات الحلي تلبس للزينة فقط، بل كان لها مدلولات عقائدية أيضاً، إما لأمور دنيوية، كدفع الشر أو جلب الخير، أو لأمور أخروية، التماساً لمرضاة معبود أو خوف عقابه. فلعل من ذلك ما وجد في أماكن متعددة (مقابر الظهران، قرية الفاو) وهو حلية مصنّعة على شكل جعل أو خنفساء، وهذا النوع من الحلي كان مستخدماً بكثرة عند قدماء المصريين، ويرمز إلى الحياة واستمراريتها. وقد شاع استخدام الجعل في تزيين كثير من الحلي، بل في فنون مختلفة، إلا أن أفضل أنواعها ما استعمل في الأختام.

وقد عُرفت الأقراط والخواتم والأساور والأمشاط، إضافة إلى القلائد، وهي في جملتها مصنعة من خامات محلية قريبة التناول سهلة المعالجة، أكثرها شيوعاً الأخشاب والعظام، وإلى حد ما العاج والأصداف.

وتوضح الصور الجدارية في وادي الرافدين ووادي النيل ومناطق متفرقة من الشرق الأدنى أن النساء عرفن لبس التاج، وهو من الحلي القديمة، يلبس على الرأس، إما لتجميل الوجه أو تثبيت الشعر. وقد تطورت وظيفة التاج على مر العصور حتى أصبحت جزءاً من الطقوس الدنيوية، إذ ارتبط لبسه بالعظمة وقوة النفوذ، ولبسه الرجال، شأنهم في ذلك شأن النساء، ويختص به الملوك. وكان ملوك الحيرة يضعون التيجان على رؤوسهم، وفي شعر لمالك بن نويرة أن تاج النعمان بن المنذر كان من الزبرجد والياقوت والذهب:

لن يذهب اللؤم تاج قد حييت به
من الزبرجد والياقوت والذهب

وتزينت المرأة كذلك بالتاج لا كرمز للقوة والمنعة كشأن الرجل، ولكن لتضيف إلى جمالها رمزاً يؤكد أنوثتها وجاذبيتها.

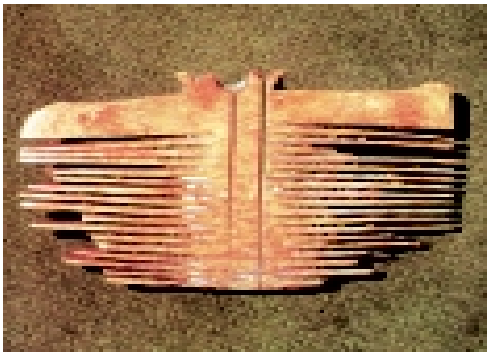

مشط من الخشب، يعود تاريخه إلى فترة ما قبل الإسلام – موقع ثاج – المنطقة الشرقية

وهناك أدوات كثيرة، منها المشط والمكحلة والمرآة لا تسعفنا الحفريات أو الرسوم لإثباتها، ولكننا أيضاً لا ننفي وجودها، بل إن المنجزات الحضارية التي حققها إنسان العصور القديمة في الجزيرة العربية، لاسيما خلال فترة الممالك العربية، لتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك شيوع استعمال تلك الأدوات. ومن أنواع الحلي القديمة: القلادة وقد ظهرت عند عرب الجزيرة العربية إبان فترة الممالك العربية، وتكون غالباً من الذهب أو الفضة وتربط حول العنق وتتدلى على الصدر، وقد تصنع أيضاً من الخرز ومن الأحجار الكريمة. وكذلك السوار ويعد أيضاً من أنواع الحلى القديمة. ويذكر

قلادة من الخرز والذهب، تعود إلى فترة ما قبل الإسلام – موقع جاوان – المنطقة الشرقية

علماء اللغة أن السوار لفظة معربة من الفارسية، وأصلها في لغة الفرس «دستوار» ثم عربت إلى سوار. ويلبس السوار في المعصم، وهو حلية خاصة بالنساء، وقد لبسه بعض المحاربين قديماً ليتباهى به في الحروب. وقد أعيد استعمال السوار في الحروب الحديثة لتبين هوية المحارب، ويُلبس إما في المرفق أو المعصم.

أما الخاتم فهو من حلي الإصبع، ويحلى بالأحجار الكريمة كالياقوت والألماس وغيرها. وللخاتم وظائف ذات أهمية كبيرة، وقد عد الخاتم عند الشعوب القديمة رمزاً للتفويض والتصديق والملك. وختم الملك، يدل على إرادة الملك ورضائه وأمره، ولذا قيل: خاتم الملك. وقد يصنع الخاتم من الشَّبَه أو الصفر أو الحديد، ويجعل على صور وأشكال متنوعة متعددة، وقد يحمل رموزاً تختص بلابسه. وفي الإسلام كان ينقش على الخاتم عبارات وأدعية، وربما نقش عليه اسم صاحبه. وقد كان خاتم رسول الله ﷺ من حديد ملوي عليه فضة.

وأكدت الكشوفات الأثرية التي أجريت في مناطق مختلفة من المملكة أن الذهب والفضة والألماس والأحجار الكريمة كاللؤلؤ والياقوت، وظفت لخدمة

حلي الرجل والمرأة توظيفاً بلغ درجة في غاية الرقي، واستطاع الصائغ العربي أن يظهر براعته وحسن ذوقه من خلال تلك اللمسات الفنية التي أضفاها على صناعته. ولم تقتصر ملكاته الفنية على محاكاة فنون الصياغة التي عاصرها والتي سبقته حضارياً وثقافياً في مناطق متفرقة من الشرق الأدنى، كالعراق وسوريا ومصر، بل أضاف إليها فنوناً جديدة استوحى عناصر جمالها من بيئته، وواءم بين أدائها للغرض وبين ما يرضي طموحات ذوقه مما جعلها تحفاً فنية رائعة. ويعكس ما عثر عليه من حلي في المواقع المختلفة تلك المهارات العالية والفن الرفيع الذي امتاز به الصائغ العربي.

إن الكشوفات الأثرية التي تمت في قرية الفاو لتؤكد أن الحلي التي عثر عليها أثناء عملية التنقيب لم تقتصر على نماذج لصناعة محلية منعزلة، ولكنها جمعت حتى في أدق خصائصها اللمحة الفنية السائدة في منطقة الشرق الأدنى. فبجانب الجمل المصنع من البرونز الذي يعد نمطاً محلياً في خامته وفكرته وصناعته، نجد كذلك الدولفين، وهو حيوان بحري تبعد أماكن استيطانه مئات الكيلو مترات عن قرية «الفاو». وما يقال عن الجمل والدولفين يمكن تعميمه على بقية الأعمال الفنية التي مارسها الصائغ في الجزيرة العربية.

ومن التحف الرائعة التي أمدتنا بها حفريات قرية الفاو، ذلك الكم العظيم من المجوهرات، ونخص بالذكر منها تلك القلائد والعقود والأساور والخلاخيل والأقراط المصنعة من الذهب الخالص والمطعمة بأنواع مختلفة من الأحجار الكريمة.

ومن الحلي التي اختص بها الرجل في هذه الفترة، الخناجر، وكانت تثبت في وسط حزام يشد وسط جسد الرجل، وتصنع سلاسلها من حديد خاص،

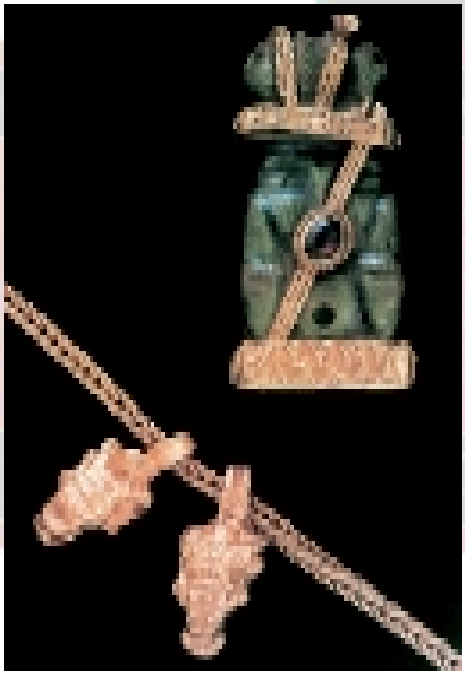

حلي ذهبية – موقع قرية الفاو

وتطعم مقابضها وأغمادها بالعاج والذهب والفضة، شأنها شأن السيوف. وهي تستعمل أسلحة في الحروب وزينة في السلم.

الحلي في العصر الإسلامي. حث الدين الإسلامي على التزين والظهور بالمظهر اللائق، سواء كان ذلك في الملبس أو بالحلي، قال تعالى ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (الأعراف: ٣١) وقال تعالى ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف: ٣٢) ومن هذه الآيات وأمثالها، ومن الأحاديث النبوية الشريفة نستنبط أن الشريعة الإسلامية السمحة لم تحرم التزين أو تنهى عنه، غير أنها أوجبت أن تكون الزينة ضمن الحدود المعتدلة والمحتشمة.

وقد أحرزت صناعة الحلي في العصر الإسلامي تقدماً كبيراً خاصة في المناسبات والأفراح. وكان يقال للمرأة التي تتزين بالحلي «إمرأة حال»، أما إذا لم يكن عليها حلي فهي «امرأة عاطل». وتطلق لفظة عاطل في الغالب على المرأة التي ليس في عنقها ولا يديها أو رجليها حلي. ومن أهم المعادن المستخدمة في صناعة الحلي، الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والعقيق والزمرد، وغيرها من الأحجار الكريمة.

وقد ارتبطت صياغة الحلي ارتباطاً وثيقاً بعمليات التعدين، لأن هذه الصنعة تعد من أهم الصناعات التي كانت قائمة في الجزيرة العربية، حيث توجد معادن الذهب والفضة والحديد والقصدير والجزع التي كانت صالحة للاستثمار. ويعد معدن بني سليم (مهد الذهب) من أماكن التعدين المهمة في الجزيرة العربية، فقد كان لهذا المعدن شأن عظيم في العصور الإسلامية الأولى. ومن أغزر مناجم الذهب في الجزيرة معدن حليت في حمى ضرية، كما يعد منجم العقيق في نجد من أغزر معادن الذهب. وهناك معادن أخرى مشهورة في الجزيرة، من أهمها معدن الهجيرة والأحسن والحقير والطيب ومعدن ضنكان والمؤخرة وانشراء وبيشة والقبيلة وعشم.

ويعد الذهب من أثقل المعادن وأثمنها، وهو معدن قابل للطرق أكثر من غيره. وهو من المعادن المعروفة في العصور القديمة، كما أنه من المعادن التي استخدمت بكثرة في صناعة الحلي عند

العرب منذ العصر الجاهلي. وقد عرفه العرب بتسميات مختلفة، فهو قبل أن يدخل في الصناعة التبر، وبعدها يطلق عليه العين والنضار والعسجد. ويلي الذهب في التزين معدن الفضة، وهو من المعادن المعروفة قديماً، وهو معدن خفيف قابل للطرق، ويقال له اللجين. وقد اشتهرت الجزيرة العربية بالذهب والفضة منذ زمن بعيد حيث استفادت من موقعها الجغرافي، لوقوعها على شواطئ طويلة، ولاتصالها بالأقاليم البحرية الأخرى، كالهند والمدن الأفريقية، فنشطت فيها تجارة الذهب وتداوله. ولم يكن إنتاج الفضة وصناعتها مقتصراً على البلاد العربية، بل شمل ذلك أقاليم أخرى، مثل بلاد فارس وغيرها، وكان لها دور مهم في عملية التبادل التجاري المستمر مع الجزيرة العربية.

ويأتي اللؤلؤ بعد الذهب والفضة في الاستعمال، وهو مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية حول نواة صغيرة كطفيلي أو حبة رمل أو غيرها. وقد عدت العرب اللؤلؤ سيد الأحجار، إذ كان كثير الاستعمال في صناعة حلي النساء. وأطلق العرب تسمية الدرة على اللؤلؤة الكبيرة، ويطلق عليها قبل ثقبها العذراء. ومن الأسماء التي تطلق على اللآلئ الصدفية نسبة إلى الصدف الذي يستخرج منه اللؤلؤ، ومن أسمائها أيضاً التوأمية والمكنونة. أما اللؤلؤ غير الصافي فيطلق عليه الحبة.

ومن الأحجار الأخرى التي دخلت في صناعة الحلي عند المرأة الياقوت، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ (الرحمن: ٥٨). والياقوت استخدم كثيراً في الحلي في العصور الإسلامية، وهو ذو ألوان متعددة، منها الأحمر والأزرق والأبيض، ومن أحسنها الأحمر، وأقلها جودة الأبيض. ومن الأحجار الكريمة الأخرى المرجان، وهو نبات بحري أحمر متشعب، وورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ (الرحمن: ٢٢).

أما العقيق فهو مرو أحمر، عرف أجوده بأنه شديد الحمرة، ومنه الأصفر والأزرق والأسود والأبيض. ويتفرع من العقيق الجزع، وهو في الغالب ذو لونين أسود وأبيض، ويسمى بذلك، لأنه معرّق بلونيه المختلفين، أي قطع سواده بياضه فأصبح بذلك شبيهاً بالعين. وقد عرف العرب صناعة الحلي من الجزع منذ أقدم العصور. كما استخدم الودع بأنواعه

وأشكاله المختلفة في صناعة الحلي، خاصة ما يعد لزينة الأطفال، ومادته الأساسية خرز أبيض صغير الحجم ذو شق مسنن، وتشكل مادته من المحار والقواقع البحرية البيضاء.

واستغلت في الجزيرة العربية أنواع أخرى من المجوهرات والأحجار الكريمة ونصف الكريمة في صناعة ما يتحلى به كلٌ من الرجل والمرأة، ومن هذه المواد الخام ما هو محلي ومنها المستورد، كالألماس، والفيروز، والزمرد أو الزبرجد، والجزيز. كما يدخل في ذلك التزين بالعاج والعظم. ومن هذه المواد ما يستخدم لصياغة حلي قائمة بذاتها، ومنها ما يضاف إلى حلي أخرى، إما لتحسين شكلها العام أو لرفع قيمتها المادية.

وتعد الصياغة من الصناعات المعدنية التي عرفت في العصور الإسلامية في الجزيرة، ويطلق عليها صياغة الذهب والمجوهرات. وهي حرفة قديمة معروفة منذ أقدم العصور، يسمى صاحبها الصائغ، ويجمع على صاغة وهي العمل بالمعادن الثمينة وتشكيلها على هيئة حلي يتحلى بها الرجال والنساء.

ويبدو أن أهل الحجاز كانت لديهم معرفة بالصياغة وطرقها، وقد وجد لديهم صاغة قبيل ظهور الإسلام وبعده. فقد عرفوا في العصر الجاهلي الحلي الذهبية والفضية والنحاسية وغيرها، وفي المدينة اشتهر العرب بإجادة هذه الصناعة وإتقانها. وكان في مكة مجموعة من الصاغة كشأن أهل المدينة وغيرها من البلدان. ومما يدل على ذلك ما ورد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة «إن هذا البلد حرام لا يعضد شوكه، ولا يختلى خلاه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمَعِّرف. فقال العباس: إلا الإذخر فإنه لا بد لهم منه فإنه يقون والبيوت، فقال: إلا الإذخر». والقين هو الحداد. كما اشتهرت مدن أخرى بالحجاز بهذه الصناعة، كالطائف وخيبر ووادي القرى وغيرها، ولم تكن تخلو من صاغة يقومون بعمل حلي النساء وغيرها. وكان إنتاجهم يشتمل على ما يتُحلى به، كالخواتم والأساور والقلائد وغيرها، كما عُرفت أيضاً خلاخل النساء.

كذلك مارس الصاغة باليمامة صناعة حلي المرأة وإعداد ما يلزم لإظهار زينتها كالقلائد، وهو ما يجعل في العنق من حلي وغيره، والشنف الذي يعلق في أعلى الأذن، والأقراط في أسفلها،

وتكـون من الذهـب أو الفضـة. وفي اليمامة سوق يقال لـها العسجدية وهي سوق خاصة بالذهب والمجوهرات، وربما لا يقتصر بيع الذهب والفضة على هذه السوق، وإنما كان هناك صـاغة يقيمون فيها ويصنعون الحـلي ويسوِّقونها. كما كان هناك البـاعة المتجولون لبيع الحلـي على أهل البادية في منازلهم.

وقد أقبلت المرأة العربية في العصر الأموي على اقتناء الأنواع المخـتلفة من الحلـي وما يتزيـن به. وتذكر المـصادر التاريخية أن معاوية بن أبي سفيان أهدى عائشة بنت أبي بكر قرطاً من ذهب فيه جوهر قدرت قيمته بمئة ألف درهم، كما وردت إشارات إلى أقراط مزينة بالدر، منها قرطان كانا لمارية بنت ظالم، وذكر أن فيـهما درتين كـبيض الحمـام. وقد وردت نماذج مخـتلفة مـن الأقراط في الرسوم الجدارية الأموية التي وجدت في الأردن مما يدل على أن هذه الحلي الأموية معروفة ومستخدمة ولا يستبعد وجودها في الحجاز في هذه الفترة، إذا نظرنا إلى مواسم الحج والعمرة وما يجلبه الحجيج معهم ويبيعونه في أسواق مكة.

كما استخدمت المرأة العربية الأطون، وهي حلية مستديرة ذات مـفصل واحد أو أكثر، تحيط بالرقبة، وقد اتخذت من الذهب المحلى بالجواهر. وكذلك العقود الطويلة التي تعرف بالمراسـل، والبسيط الذي قوامه سلسلة تتدلى من أسفلها حلية واحدة.

كما لوحـظ أن المرأة كانت تتحلـى بأكثر مـن قلادة، وقد تصل في بعض الأحيان إلى ثلاث. كما استخدمت المرأة الخواتم، وهي تشكل جزءاً أساسيـاً في حلي المرأة في العـصر الأموي. وتذكر المصادر التاريخية أن بعض نساء العرب كن يضعن خواتم في أصابعهن العشرة. وبالإضافة إلى ذلك تحلت المرأة الأموية بالأساور الخالية من الزخارف، كما تحلت بالدمالج، وهي الحلـي التي توضع في العضد.

أما في العصر العباسي، وهو عصر الرفاه والترف، فقد مال الناس إلى كثير من البـذخ في مظاهـر حياتهم الـعامة والخاصة. وكانت الحلي من مظاهر هذا الترف فاستخدمت أنواع كثيرة من الحلي النسائية التي كشفت عنها الحفائر الأثرية في كثير من المواقع الإسلامية. وكانت الحلي في هذا العصر أقراطاً، منها البسيط ومنها المتطور الذي تزينه تفريعات نباتية وزخارف هندسية. وكذلك وجدت أنواع من الأقراط الهلالـية الشكل، وقوامها زخارف نباتية معقدة.

وقد عثرت شركة التعدين العربية السعودية أثناء البحث عن الذهب في منجم مهد الذهب على أدوات استخدمت في استخراج واستخلاص الذهب من الشوائب. وهي رحى وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيح. كما كان هذا العمل يتطلب أفراناً خاصة بذلك، وهو ما يطلق عليه التنور.

ويبدو أنه ليس من اليسير إعطاء صورة واضحة عما كانت تتحلى به المرأة في العصور الإسلامية، خصوصاً المبكرة منها. ويعود السبب الحقيقي في ذلك إلى ندرة المخلفات الأثرية نتيجة لقلة الحفائر الأثرية التي لم تأخذ طابعها الجدي إلا في السنوات الأخيرة.

ولهذا السبب فليس لدينا ما يكفي لدراسة الحلي وتصنيفها وتحليلها على أساس مادي من المعثورات، يمكننا في الوقت نفسه من عمل مقارنات دقيقة مع ما ورد في المصادر العربية المبكرة، سواء في النثر أو الشعر أو التاريخ أو غيرها. وهكذا تكاد تقتصر معرفتنا عن الحلي في العصور الإسلامية على ما كشفته التنقيبات الأثرية الحديثة.

وقد كشفت هذه التنقيبات في المواقع الإسلامية في المملكة عن شيء من أدوات الزينة والحلي التي استخدمت إبان العصور الإسلامية المختلفة. فقد عثر على أدوات زينة مصنوعة من أنواع عديدة من المعادن، منها الذهب والفضة والبرونز والنحاس والحديد والزجاج. وتتمثل هذه الحلي في أنواع شتى من المراود والمكاحل والملاقط والأساور وبقايا المرايا والخواتم.

كما عثر على بقايا حلي من الأحجار الكريمة، كفصوص الخواتم وحبات الخرز المتنوعة، التي منها ما هو برميلي أو منشوري أو كروي أو أسطواني. وتستخدم هذه الفصوص لتجميل عقود الزينة ذات اللون الواحد أو الألوان المتعددة، كالأخضر والأحمر والأزرق والأسود والكحلي والبني والفيروزي والأبيض والأرجواني. كما أن فصوص الحلي تظهر على شكل دلايات وبعضها تمثل أختاماً تحمل كتابات كوفية محفورة تمثل اسم صاحب الحلية أو بعض الأدعية والعبارات ذات الطابع الديني.

هذه الحلي -كاملة كانت أو ناقصة- عثر عليها في مواقع، إما أجريت فيها تنقيبات أثرية، كمدينة الربذة والمابيات ودومة الجندل وغيرها، أو من خلال مسوحات متعددة جرت على أرض المملكة الشاسعة.

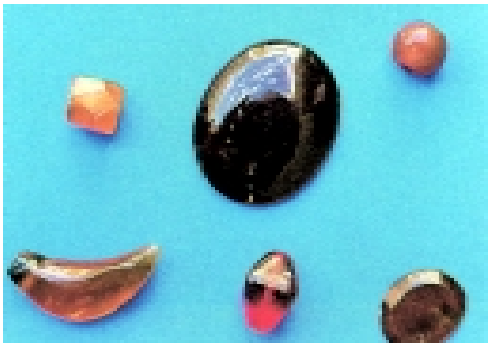

فصوص وخرزات من العقيق، من القرن الثالث الهجري – موقع الربذة

وكشفت معثورات الحلي في المواقع الإسلامية أن المرأة تزينت بحلية مختلفة الأنماط، متباينة الأحجام، متفاوتة الأسعار. وكانت تستخدم لمعظم أعضاء بدنها تقريباً حلياً مناسبة، توضع أحياناً منفردة وأحياناً مجتمعة، فقد وضعت حلياً للرأس والشعر وكذلك للأذن والأنف، وحلياً للعنق والجيد، وثالثة لليد والمعصم والعضد. كما خصصت زينة للوسط والقدم، هذا عدا تلك الحلي التي تضاف إلى بعض أنواع الملابس التي ترتديها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم حلي المرأة أخذت أسماءها إما من الموضع الذي توضع عليه ويتحلى به، كالمعاصم أو المعاضد، أو من طريقة التزين بها، كالقلادة والمخنقة، أو من شكلها كالهلال والحبة. كما تأخذ الحلي أسماءها في أحيان كثيرة من نوع المادة المصنوعة منها أو المكان الذي صنعت فيه.

وتكشف المعثورات أن المرأة في هذه المنطقة مالت إلى الحلي المصنوعة من الذهب والفضة، أكثر من غيرها. فمن ذلك الأقراط وأنواع الخرص، وهو القرط الذي يتدلى من جزئه الأسفل حبة واحدة، ويقال له الرعاف. وهناك الشنوف وهي من حلي الأذن، وتصنع من الذهب أو الفضة، وكانت تعلق في أعلى الأذن. ومن حلي الرقبة أنواع القلائد، ومنها المخنقة و الطوق والعقد. أما المخنقة فهي قلادة تلتصق بالرقبة، ومنها ما كان يتخذ من اللآلئ أو يزين بالدرّة، أما الطوق فقد عرف كثيراً في الجزيرة العربية، وكان يصاغ من الذهب أو الفضة، وربما طعم بالأحجار الكريمة.

كما كان من مظاهر الزينة عند النساء في العصر الإسلامي في هذه المنطقة لبس الحلي المصنوعة من العاج، وتوضع في معصم اليد، كما يلبسن البارق، وهو السوار العريض، وهو من حلي اليدين، وقد يرصع، وعرف هذا النوع من الحلي باسم الجبارة خصوصاً في اليمامة. وفي اليمامة أيضاً استخدمت الفتخ، وهي خواتم كبيرة تكون في اليد أو الرجل،

أو حلقة من فضة، ومثلـها الدبل وهي أساور وأمشاط تعمل من ظهر السلحفاة البحرية، وقد وصـلت إلى اليمامة من ساحل الخليج العربي.

ومن الحلي التي كانت تـستعملها النساء في الأرجل الخلخال، ويوضع على الـساق، ويصاغ من الذهـب أو الفضة، وله أجراس صـغيرة تعلق به ذات رنين خاص تحدثه عند تحريكها. وهناك أيضاً أنواع الحـجول والمراسيل أو السـلاسل الـتي تـزين الأرجـل. ولأصابـع الرجل اسـتخدمـت حلق وخواتم خاصة تحلى بالأحجار الكريمة وأنصاف الكريمة.